



الدرس
الثاني والعشرون
صوم القلب
والجوارح

عناصر الدرس:

- ١ - مفهوم الصيام وصوم القلب والجوارح.
- ٢ - مكتسبات الصيام وثماره.
- ٣ - الحفاظ على مكتسبات الصيام وثماره.



الدرس الثاني والعشرون

صوم القلب والجوارح

مفهوم الصيام وصوم القلب والجوارح:

ربما ظن بعض الناس أن الصيام يتحقق بالامتناع عن الطعام والشراب فقط، ومن ظن ذلك فقد جانب الصواب، إذ مفهوم الصوم أعمق من ذلك، وأهله في تفاوت في المنزلة والمرتبة، فصوم العموم: هو كف البطن والفرج عن الشهوات فقط دون أن تصوم الجوارح والقلب، فترى صاحب هذه المرتبة يصوم عن المباحات، وربما وقع في المحرمات! من النظر إلى ما حرم الله، والغيبة والنميمة والكذب وقول الزور وغيرها من الآثام، ويخشى على أصحاب هذه المرتبة أن يدخلوا في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «رُبَّ صَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ» [رواه أحمد وصححه الألباني].

فينبغي على المكلف أن تصوم جوارحه قبل بطنه وفرجه حتى يكمل صيامه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» [رواه البخاري].

والمقصود بصيام الجوارح: كفها عن الحرام؛ فاللسان لا يكذب ولا يلعن ولا يغتاب، والعين لا تنظر إلى ما حرم الله النظر إليه من النظر إلى الأجنبية وغيره، واليد تكف عن تعاطي الرِّشوة والبطش بالضَّعْفَة، والسرقة وغيرها، والأذن تصوم عن سماع الغيبة والأغاني وغيرها، وهكذا سائر الحواس تصوم عن مخالفة أمر الله إلى نهيهِ، وتمتنع عن تخطي حدوده.

وصوم الخصوص، وهو كف البطن والفرج عن الشهوات، وكذلك كف النظر واللسان، واليد والرجل، والسمع والبصر، وسائر الجوارح والحواس عن المعاصي والآثام.

وصوم خصوص الخصوص، وهو كف البطن والفرج عن الشهوات وكف الجوارح عن المعاصي والآثام، وصوم القلب عن الهمم الدنيئة والأفكار المبعدة عن الله تعالى، وكفه عما سوى الله بالكلية، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء].

فعلق النجاة يوم القيامة على سلامة القلب، وإذا سلم القلب سلمت الجوارح واستقامت على طاعة الله، وتجنببت معصيته، إذ القلب سلطانها، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» [متفق عليه].

والقلب الصائم متحرر عن حب الدنيا والتعلق بشهواتها ولذاتها طلباً للنعيم الأعلى والراحة الدائمة في الآخرة، قال ابن رجب رحمته الله: من يصوم في الدنيا عما سوى الله؛ فيحفظ الرأس وما حوى، ويحفظ البطن وما وعى، ويذكر الموت والبلى، ويريد الآخرة فيترك زينة الدنيا، فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه، كما قيل:

أَهْلُ الْخُصُوصِ مِنَ الصُّوَامِ صَوْمُهُمْ

صَوْنُ اللِّسَانِ عَنِ الْبَهْتَانِ وَالْكَذِبِ

وَالْعَارِفُونَ وَأَهْلُ الْأَنْسِ صَوْمُهُمْ

صَوْنُ الْقُلُوبِ عَنِ الْأَغْيَارِ وَالْحُجُبِ



مكتسبات الصيام وثماره:

إن للصيام الكثير من المكتسبات والثمار التي يجنيها الصائم؛ منها: تحصيل التقوى، وجلب الحسنات، ورقة القلب، وصفاء النفس، وتكفير السيئات، وصيانة النفس والجوارح عن المحرمات، والأخذ بيده إلى الجنان من باب الريان، ومراقبة الله تعالى في الخلوات، مع سعادة النفس وفرحها.

قال رسول الله ﷺ: «وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ» [راوه مسلم].

قال ابن رجب رحمه الله: (أما فرحة الصائم عند فطره: فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها من مطعم ومشرب ومنكح، فإذا منعت من ذلك في وقت من الأوقات، ثم أبيح لها في وقت آخر، فرحت بإباحة ما منعت منه، خصوصاً عند اشتداد الحاجة إليه، فإن النفوس تفرح بذلك طبعاً).

وأما فرحه عند لقاء ربه: فبما يجده عند الله من ثواب الصيام مدخراً، فيجده أحوَجَ ما كان إليه، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

ومن مكتسباته أن يأتي الصيام يوم القيامة شافعاً للعبد بين يدي الله، والمتبع لمكتسبات الصيام يجدها كثيرة جداً، لذا فإن من مقتضيات الشرع والعقل أن نحافظ على تلك المكتسبات، وذلك بالسعي في بلوغ المرتبة العليا، والبعد عما يخدش الصيام أو يفسده، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

الحفاظ على مكتسبات الصيام وثماره:

وأخيرًا يجب على الصائم أن يحرص على المحافظة على مكتسبات الصيام، وصونه عن الفساد والنقصان، كأن يصوم المسلم عما أحل الله، ويُفطرَ على ما حرم الله! وذلك بغشيان المعاصي بالليل في رمضان بعد أن صام النهار وأحس بلذة الصيام، فإذا أقبل الليل تغير حاله تمامًا؛ يطالع الأفلام الخليعة والمسلسلات! ومجالس القيل والقال، وزيارة المواقع المشبوهة على شبكة الإنترنت، فيذهب بذلك أثر الصيام، ويهدم ما بناه من العمل الصالح، وقد حذرنا الله تعالى فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا﴾ [النحل: ٩٢].

تقبل الله منا ومنكم صالح العمل، ونعوذ بالله من محبطات الأعمال، ونسأله جل وعلا أن يتوب علينا، إنه هو التواب الرحيم.